الاثنين 9/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (31)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا هو الدرس الثلاثين الخاتمة في تفسير سورة الكهف وهذا درس نجمع فيه متفرقات مضت في هذه السورة.

سورة الكهف سورة مكيَّة والسور المكية تُعنى بتأكيد العقيدة في قلب المؤمن، من إيمان بالبعث، وباليوم الآخر وزيادةِ حب لله وحب لرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثلاث عشرة سنة مضت في مكَّة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعزز الإيمان في قلوب المؤمنين؛ لأن المؤمن إذ امتلأ قلبُه حباً لله ولرسوله ويقيناً باليوم الآخر استقام في أمور حياته، أما إذا كان الإيمان ضعيفاً في القلب فإن المؤمن مراراً ما سَتَزِلُّ قدمُه، ويخطئ، ويَحيد عن الطريق؛ لأن القلب إنما هو بمنزلة الملك من الأعضاء، فإذا صلح القلب صلحت الأعضاء وإذا فسد القلب فسدت الأعضاء.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «... **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**» [البخاري ومسلم].

آيات السورة مئة وعشرة آيات:

✓ تبدأ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي أمة الحمَّادين لله تعالى على كل حال، ومن أسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (**أحمد**) أي أن الأنبياء كلهم يحمدون الله تعالى لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد.

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [مسلم].

لماذا يبتلي الله عباده المؤمنين بالشدائد والكرب والأوجاع والأزمات والمصائب... وقد يخسرون في معاركهم مع أنهم عباد رب العالمين، وأتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمشون على درب الله تعالى ودرب رسوله؟!

قال العلماء: لهذا حكم جليلة وكثيرة منها: أن الله تعالى يريد أن يستخرج عبودية أوليائهِ في الضراء كما أظهروها له في السراء.

فلما انكسر المسلمون فما ترى واحداً منهم إلا جريحاً، واستشهد منهم سبعين صحابياً، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيّ: **لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ((اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي))، **فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ**: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ...)) [الإمام أحمد].

✓ وكان خاتمة السورة ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

فكان أولها تحميد وآخرها توحيد.

✓ وفي سورة الكهف قصص ثلاث مرت علينا:

أولها: قصة الفتية أصحاب الكهف وفيها دليل واضح أن المؤمن يبتلى:

نحن أفراداً وأسراً ومجتمعات من دون الإسلام لا قيمة لنا على الإطلاق، ولا معنى للحياة من غير سلامة الدين، وسنة الحياة وطبيعتها بوجود الاختبارات فيها، فعلى المؤمن مهما عُرض عليه من بيع أو شراء، أو زواج أو طلاق أو علاقات اجتماعية أو مالية... أن يجعل أول ما يفكر به هو دينه فإن سلم فكر بما بعده.

وقد سمى الله تعالى كل السورة باسم قصة الفتية ولجوئهم إلى الكهف فراراً بدينهم لما رأوا أن الأمر ضاق بهم وهناك من يترصد بهم الشر، مع أنهم شباب قلائل مؤمنون، وعدوهم ملك فاجرٌ ذو سلطان وجاه، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

قد يكون ابتلاؤك بكثرةِ المال أو قِلَّتِهِ، وقد يكون بالجاه العريض أو بعدمه، وقد يكون بالرفعة بين الناس، وقد يكون بالصحة أو بالمرض... وعلى جميع الأحوال ليكن أول ما نفكر به هو كيفية نجاة الدين؛ لأنه إذا سلم الدين فسنكون بخير أما إذا ذهب الدين فما من شيء يعوضنا عنه.

إذا علمت أن بسفرك للدراسة أو العمل أو...ستفقد دينك فإياك والسفر، وابق حيث كنت، وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم لما رأوا أن دِيْنَهُمْ في مكة المكرمة سيُصاب هاجروا من مكة إلى المدينة، تاركين بيوتَهم، وأهلهم وأولادهم.

قصة هجرة الصحابة وأصحاب الكهف سهلة بالكلام لكن لو تصور أحدُنا أنها نزلت به فهل كان سيترك كل الحياة المادية والنعيم ليذهب إلى كهف لا شيء فيه؟!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لِلَّهِ لَا يَتْرُكُهُ إِلَّا لَهُ إِلَّا عَوَّضَهُ اللهُ مِنْهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ**» [حلية الأولياء].

صاحب مطبعة أتاه رجل يريد نشر مجلة شهرية بأعداد كبيرة فطلب منه صاحب المطبعة بعض أعداد المجلة فلما شاهدها وجدها مجلة ساقطة تحوي صوراً سيئة وأخباراً هابطة وكلاماً مؤذياً بلا فائدة... فاعتذر عن طباعتها وبعد أربعة أشهر جاءه طلب طباعة مائتي ألف نسخة من القرآن الكريم فكان له الأجر والأجرة.

قد ترى ثواب تركك للحرام فورياً وقد يُؤخر لك فاحرص على نفسك أن تكون ممتثلاً لأمر الله مهما كان.

عندما تترك الحرام سترى الصراع الداخلي يبدأ بالعمل يلومك لتركك فرصة أخذها غيرك فاحمد الله عندها أن لم تكن سبباً لتمرير الحرام، وكل من لم يعرض عليه المال الحرام، أو فتنة النساء للرجال، أو فتنة الرجال للنساء... فليهيئ نفسه؛ لأن الله سيمتحنه بلا ريب والله يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

ثانيها: قصة سيدنا موسى مع الخضر عليه السلام: ومدار كل القصة حول الالتحاق بِرَكْبِ العلم، فهذا سيدنا موسى كليم الله ونبي بني إسرائيل لحق العالم ليتعلم منه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 66-67].

ذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس قال: ((**كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي؟**)) [جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي].

تكلم الله عن التقوى في القرآن الكريم مائتين وثمان وخمسين مرة لكن كيف يتقي من لا يدري ما يتقي فترى عدداً من الناس يقعون في الحرام وسبب ذلك هو جهلهم.

تعلم العلم واجب بشكل عام، والعلم الشرعي بشكل خاص، وقد أجمع العلماء على أنه يجب على كل مسلم أن يتعلم من أمور دينه ما هو محتاج إليه.

دعانا أخ لبيته فجلس بجواري بضعة شباب يتكلمون ويتناقشون حول موضوع غُسْلِ الجنابة هل هو لكل الجسد أم يكفي من السرة للقدمين؟! فكم هؤلاء مقصرون في تعلم الأمور الشرعية.

لا بد لك في كل أمر ديني أو دنيوي أن تتعلم أحكامه قبل أن تشرع فيه سواء من حج أو زكاة أو اختصاص طبي أو...

ثانيها: قصة ذي القرنين الملك الصالح الذي أشاع العدل في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يكون ذلك إلا إذا كان ممن يحافظ على دينه، ملتحقاً بركب العلم والعلماء، أما إذا كان العلماء بعيدين عنه وأهل الجهل قريبين منه، والدين لا يعنيه فأي عدل سينشر في هذه الأرض؟!

مما يعينك أن تكون كما أمر الله سواء كهؤلاء الشباب، أو لسيدنا موسى وتعلمه للعلم، أو أن تكون من أهل العدل وأهل بَسْطِ الخيرِ في الأرض قوله تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: 16]، فكل السورة اسمها سورة الكهف فيجب على كل منا أن يكون له كهف يخلو به بربه.

ليس المراد المكان بل الساعات التي تخلو بها بربك بِوِرْدٍ من قيام ليل وذكر لله خالياً به مغمضاً عينيك ناسياً لكل ما يشغلك مستغفراً إياه مصلياً على النبي صلى الله عليه وسلم مكرراً اسم الله الأعظم الله.. الله.. مراقباً عظمته في قلبك، وعندها يطمئن هذا القلب بصلته بربه فيبقى صامداً أمام الفتن مثابراً على العلم والتعليم من دون ملل أو تثاقل.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ**

يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» فَجَلَسَ مَعَهُمْ [ابن ماجه].

كبار العلماء يتمنون على الله أن يموتوا في مجلس العلم سواء في تعليم أو تعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.